أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
AL-Wasi Al-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

سيرة حميدة ومنهج مبارك

الدكتور محمد سليمان الأشقر

بقلم
عيسى أحمد العبيدلي

الإصدار
الخامس والستون
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

سيرة حميدة ومنهج مبارك

الدكتور محمد سليمان الأشقر

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة الكويت - في مطلع كل شهر عربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

الإصدار الخامس والستون

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

العنوان:

ص.ب ٢٣٦٦٧

الصفاة ١٣٠٩٧ الكويت

هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني:

www.alwaei.com

الإشراف العام:

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

الوعي الإسلامي
AL-Wa'i AL-Islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
مجلة كويتية شهرية جامعة

سيرة حميدة ومنهج مبارك
الدكتور محمد سليمان الأشقر

بقلم
عيسى أحمد العبيدلي

الإصدار الخامس والستون
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

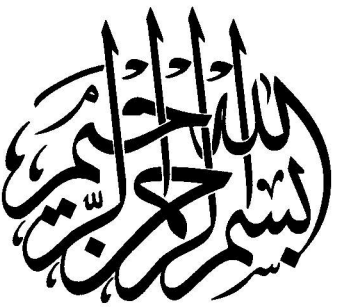
بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم: رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي»

الحمد لله علّام الغيوب، المطّلع على أسرار القلوب، ذي العزَّة والكبرياء، والحلم والعلياء، مُسْبغ أصناف الآلاء، ودافع نوازل البلاء، وجاعل العلماء ورثة الأنبياء، ومؤيِّدهم في حفظ سنَّة خاتم الأنبياء، وحماية حديثه من الكذب والافتراء، ومودعه في صدور الحفَّاظ الأتقياء.

وأشهد أن لَّا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، يعلم السرَّ وأخفى، وأشهد أنَّ سيِّدنا ونبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، الذي بصّر الله به من العمى، وأقام به معالم الهدى، اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمَّد وعلى آله وأصحابه أولي النهى.

أمّا بعد:

فإنَّ العلم والثقافة الشرعيَّة ميدانٌ خصبٌ لكلِّ متعلِّم؛ إذا أراد أن يستزيد من الإحاطة بلغته، ودينه، ومبادئ أمَّته.

وحتَّى ينتشر هذا الوعي ويعمّ، كان لا بدَّ من توفير الموادِّ العلميَّة اللَّازمة له.

ومن أهمِّ تلك الموادِّ: الكتب بمختلف أنواعها ومناهجها ومستوياتها، شريطة أن تكون نافعة بنّاءة جادّة.

ولأجل تواصل المثقَّفين شرقاً وغرباً، وتنامي الشعور بالانتماء، وتقوية أواصر الارتباط الثقافي بين شعوب الأمَّتين العربيَّة والإسلاميَّة، كانت فكرة الاجتهاد في إخراج الكنوز التراثية، وطباعة الرسائل العلميَّة، أولويَّةً عمليَّة في مجلَّة «**الوعي الإسلاميّ**»، فهي بذلك تسعى لزرع الثقافة العربية الإسلامية، بشتَّى صنوفها، في الناشئة والمبتدئين، وفي الصغار والكبار، على حدٍّ سواء.

وقد جَمعتْ مجلَّة «**الوعي الإسلاميّ**» طاقاتها وإمكاناتها العلميَّة والماديَّة لتحقيق هذا الهدف السامي، فتَيسَّر لها بفضل الله تعالى إخراج عدد ليس بالقليل من هذه الكتب والرسائل، وكان لها نصيب وافر من الحفاوة والتكريم في كثير من المجتمعات داخل الكويت وخارجها، وذلك لما تميَّزت به هذه الإصدارات من أصالةٍ وقوَّةٍ ووضوحِ منهج، ومراعاةٍ لمصلحة المثقَّف، وحاجته العلميَّة.

ومن هذه الإصدارات النافعة، كتاب:

«سيرة حميدة ومنهج مبارك»

وهي: ترجمة للشيخ الفاضل الدكتور محمد سليمان الأشقر، رحمه الله تعالى.

من إعداد تلميذه النجيب، الوكيل المساعد لقطاع الإفتاء والبحوث الشرعيَّة: الأستاذ الشيخ عيسى أحمد العبيدلي حفظه الله ورعاه.

ومجلَّة «**الوعي الإسلاميّ**» إذ تقدّم هذا الإصدار لقرّائها، فإنَّها تتوجَّه بخالص الشكر والتقدير للدكتور الفاضل على إذنه الكريم بطباعة الكتاب، نسأل الله له التوفيق والسداد.

والحمد لله رب العالمين

رئيس التحرير
فيصل يوسف أحمد العلي

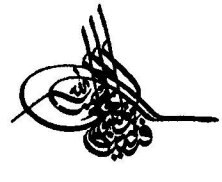

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدِّمَةُ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، اللَّهُمَّ امنن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا تصحيح المعاملة بيننا وبينك على السُّنَّة، وصدق التوكل عليك، وحُسن الظن بك، وامنن علينا بكل ما يقربنا منك، مقروناً بالعوافي في الدارين **وبعد**:

فقد قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[(١)].

وقال محمد بن سيرين الأنصاري (ت١١٠هـ): «كانوا يتعلمون الهَدْيَ[(٢)] كما يتعلمون العلم»[(٣)]، وقال مخلد بن

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الهَدْيَ: «السيرة والهيئة والطريقة».

(٣) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» الخطيب البغدادي، =

الحسين الأزدي (ت١٩١هـ) لعبد الله بن المبارك رحمهما الله تعالى: «نحنُ إلى قليلٍ من الأدبِ أحوجُ مِنَّا إلى كثيرٍ من الحديث»[١].

وقال الشاعر:

ما وهبَ اللَّهُ لامرئٍ هبةً أجملَ من عقله ومن أدبه
هما جمالُ الفتى فإن فُقِدا ففقدُهُ للحياةِ أشبهُ به

وفضيلة الشيخ محمد بن سليمان الأشقر رحمه الله تعالى، عالم حنبلي كبير، اشتهر بالدقة، والهدوء، وطيب الأخلاق؛ منَّ الله تعالى عليّ أن تعرفت على فضيلته في فترة الثمانينات من القرن الماضي، وذلك من خلال عملي في الموسوعة الفقهية، ثم في إدارة الإفتاء، فاستفدت منه فوائد جمّة، وتعلمت منه الكثير؛ إذ كنت أسمع عنه كثيراً إلى أن تعرفت عليه عن قرب، وكان في ذلك الوقت قد جاوز الخمسين من عمره، وقد صحبته لمدة عشر سنوات، فرأيت

= أحمد بن علي، مكتبة المعارف، الرياض، تحقيق: د. محمود الطحان (١/ ٧٩).

(١) «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي» الحسن بن عبد الرحمٰن الرامهرمزي، دار الفكر، بيروت، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب (٥٥٩).

فيه بحق العالم، الفقيه، الأثري، الأصولي، القدوة، العاقل، المتبصر، الزاهد، المتواضع، كان مدرسة في العلم، والأدب، وحسن الخلق، وامتاز ببساطته، وسماحة نفسه، وتلك الابتسامة التي لا تفارق محياه، ولم يكن متكلفاً في أفعاله، وتصرفاته، بل عاش مع الناس على سجيته، وطبيعته.

وإنه قياماً بواجب الوفاء للشيوخ والعلماء، وإظهاراً لحقهم على تلاميذهم، ونشراً لمسيرة السلف الصالح للتأسّي بها، واستجابةً لرغبة الأوفياء لشيوخهم، أقدم هذه المقتطفات المختصرة من ترجمة شيخنا (الشيخ محمد سليمان الأشقر رَحِمَهُ اللَّهُ)، وملامح من منهجه العلمي والدعوي المبارك.

وجاءت هذه الرسالة مكونة من مقدمة بعنوان: **صفات العالم**، ذكرت فيها الصفات التي لا بد منها للعالم ليحوز على ثقة الناس.

ثم من ثلاثة محاور أساسية هي: **منهج الشيخ العلمي، وعلاقته بالعلماء، ورعايته لطلبة العلم**.

أسأل الله تعالى أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا

من أتى الله بقلب سليم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ، ،

عيسى أحمد العبيدلي

الكويت: يوم الخميس ٧ من شهر الله المحرم ١٤٣١هـ،
الموافق ٢٠٠٩/١٢/٢٤م

مدخل

العالم الرباني الثقة

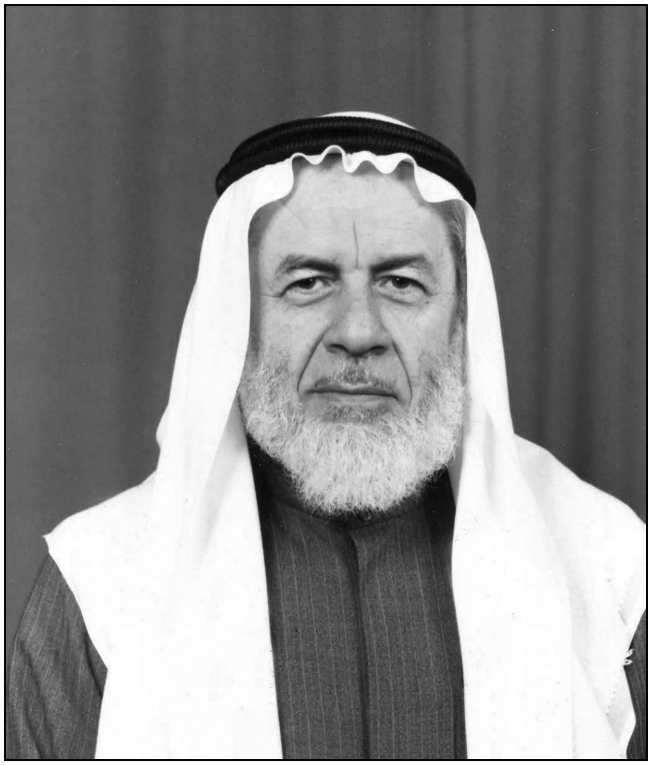

لقد رأيت من المناسب والمفيد أن أبدأ هذه الرسالة بمقدمة تمهيدية أضعها بين يدي القراء، ولا سيما طلبة العلم منهم، أذكر فيها خلاصات في التعريف بالعلم والصفات المطلوبة في العلماء وآداب العالم والمتعلم.

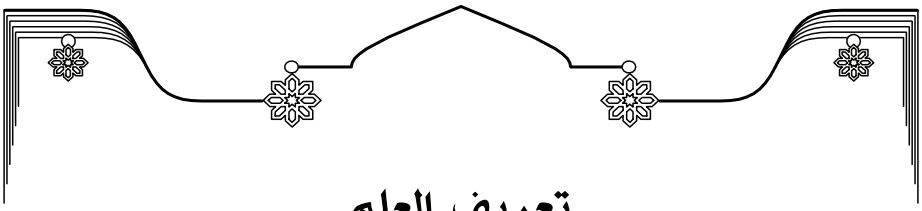

تعريف العلم

العِلْمُ لُغَةً: نقيضُ الجهلِ، وعلمت الشيء أعلمه علماً: عرفته[1].

وفي الاصطلاح: هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع[2].

وذكر الجرجاني تعريفات أخرى للعلم:

منها: إدراك الشيء على ما هو به.

ومنها: زوال الخفاء من المعلوم.

وقيل: هو مستغنٍ عن التعريف[3].

(١) «لسان العرب»، مادة: (علم).

(٢) «التوقيف على مهمات التعاريف»، المناوي، ط. عالم الكتب، القاهرة، هامش (ص٢٤٦).

(٣) «التعريفات» للجرجاني، علي بن محمد، (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (ص١٥٥).

العالم الرباني

أَثْنَى اللهُ تعالى على العلماء الرَّبانيين فقال: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

قال سيبَوَيْهِ: الربّاني منسوب إلى الرَّبّ؛ يعني: كونه عالماً به، ومواظباً على طاعته، كما يُقال: رجل إلٰهيّ إذا كان مقبلاً على معرفة الإلٰهِ وطاعتِهِ، والألف والنونُ فيه زائدتان في النسبِ، دلالةٌ على المبالغة.

قال الواحديُّ: فعلى قول سيبويه، الربانيُّ: منسوبٌ إلى الربِّ، مأخوذٌ من التربية.

وفي التفسير: كونوا فقهاء، علماء، عاملين. قاله عليٌّ وابن عباس والحسنُ.

وقال قتادةُ: حكماء، علماء.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: فقهاء، معلمين.

وقال عطاءٌ: علماء، حكماء، نصحاء لله في خلقه.

وقال سعيد بن جُبَيرٍ: الرباني: العالم الذي يعمل بعلمه.

وقيل: الربانيون: الذين جمعوا مع العلم البِّصارة لسياسة الناس، ولما مات ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال محمدُ ابنُ الحنفيةَ: اليوم مات رَبَّانِيُّ هذه الأمة.

وقال ابنُ زيدٍ: الربانيُّ: هو الذي يربُّ النَّاسَ، والربانيون هم: ولاة الأمة والعلماء[1].

وقيل: الرَّبَّانِيُّ: هو الذي يتعلم ثم يعمل ويعلم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه الذي يعلِّم الناس بصغار العلم قبل كباره.

وقيل: أيْ: كُونُوا فُقَهَاءَ تَفْهَمُونَ شَرَائِعَ دِينِهِ، وَتَحْفَظُونَها، وَتَدْرُسُونَ كُتُبَهُ وَتَعْمَلُونَ بِهَا.

وقيل: هم الذين يغذون الناس بالحكمة؛ كما ذكره في فتاوى ابن تيمية في فتاواه عن علي رضي الله عنه.

وقيل: الرباني: هو الرفيع الدرجة في العلم، العالي المنزلة فيه، وعلى ذلك حَمَلوا قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣][2].

(١) «اللباب في علوم الكتاب» أبو حفص، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض (٥/ ٣٤٨).

(٢) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم، طبعة دار الكتب (١/ ١٢٤).

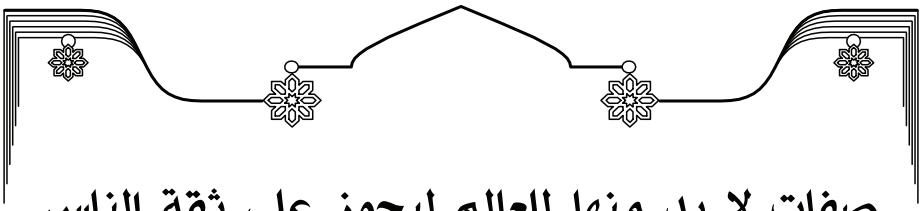

صفات لا بد منها للعالم ليحوز على ثقة الناس

ثَمَّةَ ثلاثُ صفاتٍ رئيسة لا بد منها للعالم ليحوز على ثقة الناس بعلمه، وفتاواهُ، واجتهاداته، وكلما تحلى العالم بها في مجال الدين والشريعة، كلما أكسبه ذلك مَلَكةً في الفهم، واتزاناً في الفكر، وبعداً عن التكلف والابتداع في الدين، وحصناً له من التطرف المقيت، والتعصب الأعمى، وكلما قرَّبه ذلك من هدي خير القرون، والثلة المباركة من سلف هذه الأمة، من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، الذين قال النبي ﷺ فيهم: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١).

وهذه الصفات هي:

١ ـ علم واسع عميق.

٢ ـ نفس زكية.

٣ ـ إدراك الواقع ومستجدات الزمان.

وفيما يلي بيانها بشيء من التفصيل:

---

(١) أخرجه الشيخان.

علم واسع عميق

أول ما ينبغي أن يتحلى به العالم ليحوز مع ثقة الناس علم واسع وعميق؛ ولا يتأتّى ذلك إلا بأخذ العلم من ينابيعه الأصيلة؛ الكتاب والسُّنَّة، والإلمام بالعلوم المعينة على فهمهما؛ كعلم الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول والورود، ومصطلحات أهل الحديث ورجاله، وعادات العرب في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، وفهم المقاصد الشرعية من الضروريات والحاجيات والتحسينيات، ومعرفة القواعد الفقهية الكلية، والنحو والصرف، والبلاغة؛ بياناً وبديعاً ومعاني، ومفردات اللغة وتراكيبها، والأساليب المختلفة في التعبير، ومعرفة الشعر وجميع جوانب اللغة؛ نظماً ونثراً وقصصاً وأمثالاً وحكماً، ومعرفة أصول الفقه، ومذاهب المجتهدين وأصولهم، وكيفية الاستدلال، ومواطن الخلاف بينهم، وقواعد الترجيح عند التعارض، وغير ذلك مما يشترط في الاجتهاد، مع توسع في الاطلاع على اختلاف العلماء في مسائل العلم، وفحصٍ لأدلتهم، وكل ذلك يكون وفق

منهج علمي، وسلم تعلم متدرج كما رسمه علماؤنا السابقون بعد طول تمرس لهم في هذا الميدان، لينتقل به الطالب من رتبة التقليد أو الاتباع إلى أن يبلغ درجة النظر في الأدلة، ومباشرة فهم، واستنباط الأحكام التي تضمنتها، خاصة في المسائل التي سيفتي بها، سواء الاعتقادية أو العملية، ويكون له فيها اختيار، وهذا بعد توفيق الله له.

ومن هنا فقد تفاوتت رتبة بعض علماء المسلمين على بعض، التي من ضمن أسبابها مقدار تضلعهم من العلوم الإسلامية، ويأتي في مقدمتهم أصحاب المذاهب الأربعة المشهود لهم من جميع علماء الأمة، وهو الأمر الذي دفع مثل العالمين الجليلين الإمام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحنبلي (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ)، والحافظ محمد بن أحمد الذهبي الشافعي (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) رحمهما الله تعالى إلى إنصاف هؤلاء الأئمة؛ أئمة المذاهب الأربعة، ومَن في طبقتهم من العلماء، وتبيان منزلتهم العلمية بين سائر العلماء، ممن جاءوا بعدهم، ومقدار إحاطتهم بالعلوم الشرعية، ومنها الإحاطة بالسُّنَّة النبوية، خلافاً لما توهم بعض طلبة العلم اليوم وقديماً من أن مذاهبهم جاءت بعد تدوين السنن ووجود الدواوين لذا وجب تنقيحها وتنقيتها.

فمن ذلك ما قاله العلامة المدقق ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في

ردّه على من زعم ذلك، وراحوا يطالبون بتنقيح هذه المذاهب لتتماشى مع ما صح من السنن النبوية، فقال: «**بل الذين كانوا قبل جمع هذه الدواوين أعلم بالسُّنَّة من المتأخرين بكثير؛ لأن كثيراً مما بلغهم وصح عندهم قد لا يبلغنا إلا عن مجهول، أو بإسناد منقطع، أو لا يبلغنا بالكلية فكانت دواوينهم صدورهم التي تحوي أضعاف ما في الدواوين وهذا أمر لا يشك فيه من علم القضية**»[1].

وقال أيضاً بعد أن التمس لهم عشرة أعذار ظاهرة عندما تخالف بعض أقوالهم سُنَّة صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ: «**فهذه الأسبابُ العشرةُ ظاهرةٌ، وفي كثير من الأحاديثِ، يجوز أن يكون للعالمِ حجةٌ في ترك العمل بالحديث لَم نطلع نحنُ عليها، فإنَ مدارك العلمِ واسعةٌ، ولم نطلع نحنُ على جميع ما في بواطنِ العلماءَ والعالمُ قد يبدي حجتَه، وقد لا يبديها. وإذا أبداها، فقد تبلُغنا، وقد لا تبلُغنا وإذا بلغَتنْا، فقد ندرك موضع احتجِاجه، وقد لا نْدرِكُه، سواءٌ كانت الحُجة صواباً في نفسِ الأمر أم لا**»[2].

---

(١) «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» ابن تيمية، ط. الرئاسة العامة لإدارات البحوث، الرياض (ص١٨).

(٢) المرجع السابق (ص٣٥).

وقال الإمام الذهبي معقباً ومستدركاً على قول الإمام الدَّارَكِيِّ، بعد أن نعته في ترجمته بـ «الإِمَامِ الكَبِيْرِ شَيْخِ الشَّافِعِيَّةِ بِالعِرَاقِ»[1]، ونقل قول أبي حامد الاسفراييني فيه: «مَا رَأَيْتُ أَفْقَهَ مِنْهُ»، فقد استدرك على ما نقله عنه ابن خلكان، عندما قال: «**وَكَانَ رُبَّمَا يَخْتَارُ فِي الفَتْوَى، فيُقَال لَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَقُوْلُ: وَيْحَكمْ! (حَدَّثَ) فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ، عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ بِكَذَا وَكَذَا، وَالأَخْذُ بِالحَدِيْثِ أَوْلَى مِنَ الأَخْذِ بِقَولِ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيْفَةَ**». فقال الذهبي: «**قُلْتُ: هَذَا جَيِّدٌ، لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَالَ بِذَلِكَ الحَدِيْثِ إِمَامٌ مِنْ نُظَرَاءِ الإِمَامَيْنِ مِثْلُ: مَالِك، أَوْ سُفْيَانَ، أَوِ الأَوْزَاعِيِّ، وَبأَنْ يَكُونَ الحَدِيْثُ ثَابِتاً سَالِماً مِنْ عِلَّةٍ، وَبأَنْ لا يَكُونَ حُجَّةُ أَبِي حَنِيْفَةَ وَالشَّافِعِيِّ حَدِيْثاً صحيحاً معَارضاً للآخَرِ. أَمَّا مَنْ أَخَذَ بِحَدِيْثٍ صَحِيْحٍ وَقَدْ تنكَّبَهُ سَائِرُ أَئِمَّةِ الاِجتهَادِ، فَلَا**»[2]، وليس في ذلك حجرٌ على الاجتهاد لمن توفرت فيه شروط الاجتهاد، ولا تعصبٌ أعمى للأئمة العلماء السابقين، ولكن لبيان سعة علم هؤلاء الأئمة، الذين استحقوا بها أن يكونوا محل ثقة الأمة بسبب هذا الرسوخ في العلم، والإحاطة بعلم الكتاب

---

(١) الدَّارَكِيُّ: عَبْدُ العَزِيْزِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ (ت٣٧٥هـ).

(٢) «سير أعلام النبلاء» الذَهَبي (١٦/ ٤٠٥) ط. الرسالة.

والسُّنَّة، ولا يزال طلاب العلم إلى اليوم يتتلمذون على هذه المذاهب الأربعة، ويتعرفون على أصولها، ولم يخرج عالم عن هذه الأصول إلا شذَّ.

نفس زكية

وثاني الصفات الرئيسة التي لا بد منها للعالم ليحوز على ثقة الناس: نفس زكية؛ وذلك بأن يجتهد العالم بأن يطهر باطنه وظاهره من الأخلاق الرديئة، ويعمرها بالأخلاق المرضية، وممن فصّل في هذا الشأن المحدث ابن جماعة الكناني الشافعي (ت:٧٣٣هـ) في كتابه النافع «تذكرة السامع في أدب العالم والمتعلم»، فقد مثَّل للأخلاق الرديئة التي ينبغي لطالب العلم أن يتخلى عنها بالآتي: «**كالغل، والحسد، والبغي، والغضب لغير الله تعالى، والغش، والكِبر، والرياء والعجب والسمعة، والبخل، والخبث، والبطر، والطمع، والفخر والخيلاء، والتنافس في الدنيا والمباهاة بها، والمداهنة والتزين للناس، وحب المدح بما لم يفعل، والعمى عن عيوب النفس والاشتغال عنها بعيوب الخلق، والحمية والعصبية لغير الله تعالى، والرغبة والرهبة لغير الله تعالى، والغيبة والنميمة، والبهتان والكذب، والفحش في القول، واحتقار الناس ولو كانوا دونه**» إلى أن قال: «**فالحذر الحذر**

من هذه الصفات الخبيثة والأخلاق الرذيلة فإنها باب كل شر؛ بل هي الشر كله، وقد بُلي بعض أصحاب النفوس الخبيثة من فقهاء الزمان بكثير من هذه الصفات إلا من عصم الله تعالى، ولا سيما الحسد والعجب والرياء واحتقار الناس».

كما مثل بالأخلاق المرضية التي ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بها، بالآتي: «**كدوام التوبة، والإخلاص، والصبر، والقناعة والزهد، والتوكل والتفويض، وسلامة الباطن وحسن الظن، والتجاوز وحسن الخلق، ورؤية الإحسان، وشكر النعمة، والشفقة على خلق الله تعالى، والحياء من الله تعالى ومن الناس، ومحبة الله تعالى هي الخصلة الجامعة لمحاسن الصفات كلها، وإنما تتحقق بمتابعة الرسول** ﷺ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾» [آل عمران: ٣١][1].

وقد أكد كثير من العلماء على أنه بهذه الصفات علت مرتبة السلف، واشتهرت أذكارهم، قال الخطيب البغدادي: «**وهل أدرك من أدرك من السلف الماضين الدرجات العلى إلا**

---

(١) «تذكرة السامع في أدب العالم والمتعلم» بدر الدين ابن جماعة، دار الكتب العلمية، بيروت (ص٢٦).

بإخلاص المعتقد، والعمل الصالح، والزهد الغالب في كل ما راق من الدنيا»[1].

وقال أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَقْدَسِيُّ: «**فأما علم المعاملة وهو علم أحوال القلب؛ كالخوف، والرجاء، والرضى، والصدق، والإخلاص وغير ذلك، فهذا العلم ارتفع به كبار العلماء، وبتحقيقه اشتهرت أذكارهم؛ كسفيان، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد؛ وإنما انحطت رتبة المسمين بالفقهاء والعلماء عن تلك المقامات؛ لتشاغلهم بصورة العلم من غير أخذ على النفس أن تبلغ إلى حقائقه وتعمل بخفاياه**»[2].

---

(١) «اقتضاء العلم العمل» الْخَطِيْب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، أبو بكر، أحمد بن علي، المكتب الإسلامي، بيروت (١٣٩٧هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (صحيفة ١٤ وما بعدها).

(٢) «مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ القَاصِدِيْنَ» للإمَامِ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَقْدَسِيِّ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي دمشق. اختصره من كتاب «منهاج القاصدين» لابن الجوزي، الذي اختصر بدوره من كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي.

إدراك الواقع ومستجدات الزمان

وثالث الصفات الرئيسة التي لا بد منها للعالم ليحوز على ثقة الناس: **إدراك الواقع ومستجدات الزمان**؛ وهو أن يتمكن طالب العلم من معرفة زمانه، وإحاطته بعادات الناس، وطبائعهم، ومن أقوال الحكماء: رحمَ اللهُ من حفظَ لسانَه، وعرفَ زمانَه، ولزم شأنه، واستقامت طريقتُه.

فمعرفة الزمان هو معرفة متغيراته، وأن الأشياء ليست واحدة في كل زمان، وفي كل مكان، كما يظن الكثير من الناس، بينما في الواقع أن هناك أشياء كثيرة جدّاً تتغير من وقت إلى وقت، وكثير من التفاصيل تختلف من زمن إلى آخر، قال الخطيب البغدادي في شروط المفتي: «**إن الفقيه يحتاج أن يتعلق بطرف من معرفة كل شيء من أمور الدنيا والآخرة، وإلى معرفة الجد والهزل، والخلاف والضدّ، والنفع والضر، وأمور الناس الجارية بينهم، والعادات المعروفة منهم، فمن شرط المفتي النظر في جميع ما ذكرناه، ولن يدرك ذلك إلا بملاقاة الرجال، والاجتماع مع أهل النحل والمقالات**

المختلفة ومساءلتهم، وكثرة المذاكرة لهم، وجمع الكتب ودرسها، ودوام مطالعتها»[1].

وقال ابن قيّم الجوزية (٦٩١ ـ ٧٥١هـ): «**ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم؛ أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً. النوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر، فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يَعْدَمْ أجرين أو أجراً، فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله**»[2].

وقال أيضاً: «**فههنا نوعان من الفقه لا بدّ للحاكم منهما؛ فقه في أحكام الحوادث الكلية، وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس، يميز بين الصادق والكاذب، والمحق والمبطل، ثم يطابق بين هذا وهذا، فيعطي الواقع حكمه**

---

(١) «الفقيه والمتفقه» الخطيب البغدادي (٢/ ٣٣٤) أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ)، ط. ابن الجوزي السعودية ١٤٢١هـ.

(٢) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» ابن قيم الجوزية، ط. دار الكتب العلمية، بيروت (١/ ٦٩).

من الواجب، ولا يجعل الواجب مخالفاً للواقع»[1].

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن القيم، مطبعة المدني القاهرة، تحقيق: د. محمد جميل غازي (ص٥).

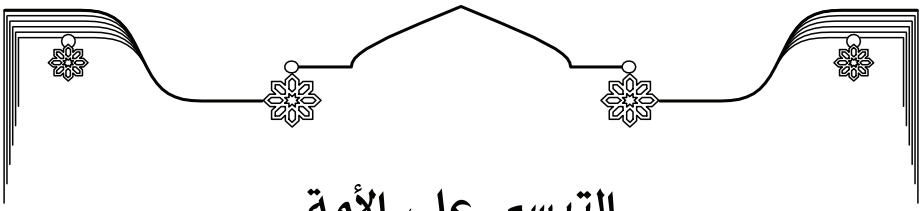

التيسير على الأمة
مقصد عظيم من مقاصد الشريعة

من خلال استقراء واقع العلماء، وطلبة العلم المتميزين، فإن غالب من تحققت فيهم هذه الخصال والسجايا السابقة بتوفيق الله تعالى لهم، لا تجد ميله إلا إلى الأخذ بالتيسير والتخفيف على الأمة، وعدم التشديد أو الإعنات عليهم، وحملها على ما لا تطيق، فعن سفيان الثوري قال: «**إنما العلم أن تسمع بالرخصة من ثقة فأما التشديد فيحسنه كل أحد**»[1].

وليس المراد هنا بالرخصة الترخص المذموم، الذي هو الأخذ بأسهل الأقوال في مسائل الخلاف فهو أمر منهي عنه، فيأخذ من كل مذهب ما هو الأهون فيما يقع من المسائل،

---

(١) قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: هو مما استفاض على ألسن العلماء ومؤلفاتهم.
وأخرجه أيضاً في [التمهيد] فقال: حدثنا سفيان بن عيينة عن معمر قال: إنما العلم أن تسمع بالرخصة من ثقة فأما التشديد فيحسنه كل واحد.

وإنما المقصود الرخص الشرعية المعتبرة تخفيفاً على المكلفين، وتيسيراً للأحكام للعمل بها، ودفعاً للمشقة والحرج، أسوة بقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقولِ النَّبِيِّ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ**»[1]؛ فالتيسير، والتخفيف، والترخيص للمكلفين عن المشقة، مقصد عظيم من مقاصد الشريعة، وأصل مقطوع به من أصولها، حيث إنها تحفظ على الناس ضرورياتهم، وحاجياتهم، وتوسع عليهم، وترفع الضرر عنهم، فهي رحمة من الله بهم، وفضل منه عليهم؛ لئلا يكون إعنات أو حرج في ما كلفوا به، فإذا صح مقصد العالم وكان ثقة، واحتسب في تطلب حيلة لا شبهة فيها، ولا تجر إلى مفسدة للتخلص من ورطة ما، فذلك حسن جميل، وهذا ما سار عليه العلماء، وقد عرَّف الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى المفتي المجتهد بأنه: «**الذي يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال.**

---

(١) رواه البخاري، بَاب الْقَصْدِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعَمَلِ (٦٤٦٣).

والدليل على صحة هذا: أنه الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة، فإن مقصد الشارع من المكلف الحمل على التوسط من غير إفراط ولا تفريط، فإذا خرج عن ذلك في المستفتين خرج عن قصد الشارع، ولذلك كان ما خرج عن قصد المذهب الوسط مذموماً عند العلماء الراسخين»[1].

(١) «الموافقات» إبراهيم بن موسى الشاطبي، دراسة وتحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ط. دار ابن عفان (١٠/ ٤٠٥).

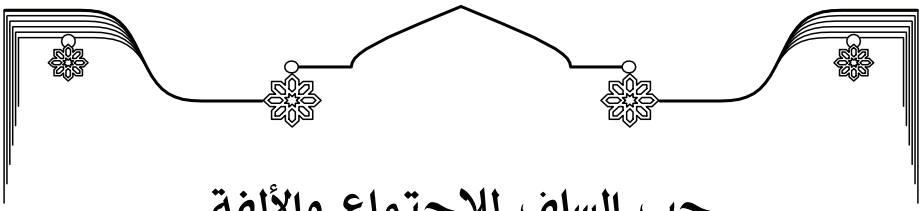

حب السلف للاجتماع والألفة
وبغضهم للتشدد والتكلف

همو وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي العظائم

لقد كان من هدي سلفنا الصالح أنهم يحبون الاجتماع والألفة، ويبغضون التفرد والفرقة والشذوذ، ويحبون اتباع السُّنَّة واقتفاء أثرها، ويكرهون الإحداث في الدين، والابتداع، والتبديل، وكانوا يحبون التوسط في الأمور كلها، ويكرهون التشدد، والتكلف المنهي عنه، وكثرة السؤال، فلم يجنحوا إلى إفراط، ولا إلى تفريط، ولا غلو ولا جفاء، تأسياً بالنبي ﷺ **«مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، ما لَمْ يَكُنْ إِثْماً فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ»**[1]؛ أي: ما لم يقم الدليل القاطع على حرمته.

وصح عنه ﷺ قوله: **«يَسِّروا ولا تُعَسِّروا وبَشِّروا ولا تنَفّروا»**[2].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وما أجمل وأدق ما وصفهم به الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**إِنَّ اللهَ عز وجل نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِهِ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِهِ، فَجَعَلَهُمْ وَرَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ**»[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «**مَن كان مستنًّا فليستنَّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد كانوا خير هذه الأمة، أبرُّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم**»[2].

وهكذا كان هدي من جاء بعدهم من الفقهاء المجتهدين؛ كالأئمة الأربعة، وغيرهم، فساروا على نهج من سبقهم من غير تبديل، ولا تحريف، ورسموا لمن بعدهم ملامح، ومعالم هذا المنهج المبارك، فوضعوا الأصول، وأسسوا القواعد التي من خلالها يتوصل إلى معرفة الأحكام الشرعية من مظانها، وأدلتها المعتبرة، ليعبد الله على بصيرة

---

(١) أجزاء أبي علي بن شاذان، رقم الحديث (١٩٩).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٠٥، ٣٠٦).

وهداية، ولا يعتقد فيه إلا وفق مراده سبحانه، متحرين في ذلك ومقتفين هديَ وآثار من سلفهم من الصحابة، والتابعين، وقد تلقت الأمة منهم هذا المنهج بالقبول، والتسليم، وسار على هديه طوال القرون الماضية جُلّ علماء الأمة.

وهكذا تميز أهل السُّنَّة والجماعة عن غيرهم من سائر أهل الملل والنحل، حتى صاروا قدوة بين الأمم، فقد تميز منهجهم عبر القرون بالوسطية، والاعتدال، والتسامح، فكانوا وسطاً في باب أسماء الله تعالى وصفاته، فيثبتون لله تعالى الأسماء والصفات، وينزهونه عن كل ما لا يليق به، إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل.

وكانوا وسطاً في باب أفعال الله وأفعال العبد، فآمنوا بأن الله تعالى خالق كل شيء في الوجود، حتى أفعال العباد وإراداتهم، ويؤمنون مع ذلك بأن للعبد فعلاً، وهي ليست أفعالاً لله، لكنها واقعة بمشيئته تعالى وبقدرته.

وكانوا وسطاً في باب وعد الله ووعيده، بين من يرى أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وبين من يرى خلود مرتكب الكبيرة في النار، فآمنوا بما جاء في الكتاب والسُّنَّة من الوعد الوعيد، ويؤمنون مع ذلك بأن هذا الوعيد معلق على المشيئة.

وكذلك كانوا وسطاً في باب محبة أصحاب

رسول الله ﷺ فينزلونهم منازلهم، ولا يبغضون أحداً منهم، ولا يتبرءون من أحد منهم، ولا يذكرونهم إلا بالجميل، ويبغضون من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، فلا غلو ولاجفاء.

وكذا كانوا وسطاً في اتباع المذاهب الأربعة وتقليدهم، وكانوا وسطاً في التعامل مع المبتدعة والمخالفين لهم في الاجتهاد، وكانوا وسطاً في اشتراطهم للاجتهاد والإفتاء، وكذا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي طاعة الحكام وأولياء الأمور، وهكذا في سائر مسائل الدين، فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

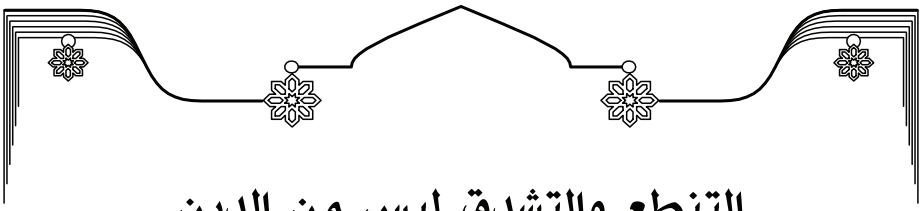

التنطع والتشدق ليس من الدين

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

من يتأمل واقع بعض طلاب العلم اليوم، يأسف أشد الأسف لما آل إليه واقع الكثيرين منهم ـ هدانا الله وإياهم سواء السبيل ـ فغلب عليهم التنطع، والتشدق، والتفيهق، والثرثرة، واقتصروا على بعض علوم الشريعة دون بعضها، فلم يوقروا كبيراً، ولا عالماً، ولم يرحموا مخالفاً لهم في الفهم، أو يسلم من غمزهم ولمزهم، ولم يتورعوا عن تتبع زلاته، ورصد عثراته؛ بل كان التجهم والعبوس طبعهم، والغرور والتعالي هديهم، وكل ذلك يفعل بحجة الغيرة على الشريعة، وصيانة الدين من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، فهؤلاء من أبعد الناس منزلة من رسول الله ﷺ يوم القيامة، ومن أبعد الناس عن هدي السلف الصالح ـ وإن ادعوا ما ادعوه ـ مصداقاً لقول النبي: «**إِنَّ من أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقاً، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ،**

وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ»[1].

وَالثَّرْثَارُ: هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلامِ، وَالْمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلامِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ.

ولقد حذَّر من هذه الظاهرة كثير من المصلحين، والناصحين في هذا العصر، منهم الشيخ **عبد المحسن بن حمد العباد البدر** حفظه الله تعالى، فقد قال: «**ولا شك أن الواجب على أهل السُّنَّة في كل زمان ومكان، التآلف والتراحم فيما بينهم، والتعاون على البر والتقوى، وإن مما يؤسف له في هذا الزمان ما حصل من بعض أهل السُّنَّة من وحشة واختلاف، مما ترتب عليه انشغال بعضهم ببعض؛ تجريحاً وتحذيراً وهجراً، وكان الواجب أن تكون جهودهم جميعاً موجهة إلى غيرهم من الكفار وأهل البدع المناوئين لأهل السُّنَّة، وأن يكونوا فيما بينهم متآلفين متراحمين، يذكر بعضهم بعضاً برفق ولين**»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي: وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(٢) «رفقاً أهل السُّنَّة بأهل السُّنَّة» الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر.

وقد علل **الشيخ بكر بن عبد الله بو زيد** رحمه الله تعالى هذه الظاهرة، فقال: «**فمن نعم الله علينا وعلى عموم المسلمين انتشار السُّنَّة، والعمل بها، مع احترام أَئمة العلم الهداة في القديم والحديث، والتخلص من التعصب الذميم؛ لكن قد يَجْنَحُ المستدل فَيُغْرِقُ في الاستدلال، وقد يَشْتَطُّ فَيَبْتَعِدُ عن مدارك الأَحكام، وقد يحصل الغلط، والوهم، والاشتباه في الفهم**»، وبيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا أمر يقع فيه كبار العلماء في فهم بعض السنن، ولا لوم ولا عتاب، ومنهم كبار المحققين، وإن كان خطؤهم قليلاً جداً، إلا أنه يخرج عن أقوال أهل العلم فقال: «**وكثيراً ما تكون هذه الفهوم المغلوطة، من التَّوَغُّلِ في فهم السنن تارة، وعدم الالتفات إِلى المعاني والأُصول اللسانية، والحديثية والفقهية تارة أُخرى، وهذا من خطر التجريد في دليل التقرير، والغفلة عن سُنَّةِ الوسطية والاعتدال في الصلاة، والإِعراض عن كتب الفقه والخلافيات للوقوف على علل الأَحكام ومداركها، وخلافهم فيها**»[1].

وهذا ما دعا أيضاً سماحة **الشيخ عبد الله بن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ إلى توجيه النصيحة لكل من تشدد في تطبيق السنن، واختلف

---

(١) «لا جديد في أحكام الصلاة» بكر بن عبد الله أبو زيد، ودار العاصمة للنشر والتوزيع، بالرياض (٤).

مع غيره من المسلمين، حرصاً منه على جمع الكلمة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الواجب على الجميع بذل الجهود في التعاون على البر والتقوى، وإيضاح الحق بدليله، والحرص على صفاء القلوب وسلامتها من الغل والحقد من بعضهم على بعض، كما أن الواجب الحذر من أسباب الفرقة التهاجر لأن الله سبحانه أوجب على المسلمين أن يعتصموا بحبله جميعاً، وأن لا يتفرقوا كما قال سبحانه:** ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، **وقَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثاً: فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا**»[(١)]. رواه مسلم.

وقال أيضاً في موضع آخر: «**الواجب على الجميع التناصح والتفاهم في معرفة الحق بدليله مع بقاء المحبة والصفاء والأخوة الإيمانية، فقد كان أصحاب الرسول** ﷺ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، **والعلماء بعدهم رحمهم الله يختلفون في المسائل الفرعية، ولا يوجب ذلك بينهم فرقة ولا تهاجراً؛ لأن هدف كل واحد**

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ»: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه: محمد بن سعد الشويعر (١١/ ١٤١).

منهم هو معرفة الحق بدليله، فمتى ظهر لهم اجتمعوا عليه، ومتى خفي على بعضهم لم يضلل أخاه، ولم يوجب له ذلك هجره ومقاطعته وعدم الصلاة خلفه، فعلينا جميعاً معشر المسلمين أن نتقي الله سبحانه وأن نسير على طريق السلف الصالح قبلنا في التمسك بالحق والأخوة الإيمانية، وعدم التقاطع والتهاجر من أجل مسألة فرعية قد يخفى فيها الدليل على بعضنا فيحمله اجتهاده على مخالفة أخيه في الحكم، فنسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يزيدنا وسائر المسلمين هداية وتوفيقاً، وأن يمنحنا جميعاً الفقه في دينه والثبات عليه ونصرته والدعوة إليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، وعظم سُنَّته إلى يوم الدين»[1].

(١) «ثلاث رسائل في الصلاة» عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (١٤٠١هـ).

الشيخ محمد الأشقر من المولد إلى الوفاة

عاش الشيخ رحمه الله تعالى قرابة الثمانين سنة (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م ـ ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) قضاها متنقلاً ما بين فلسطين المحتلة ـ عجل الله الفرج في تحريرها ـ، والمملكة العربية السعودية، ودولة الكويت، والمملكة الأردنية الهاشمية.

حياته في فلسطين (١٩٣٠ ـ ١٩٥١م)

ولد الشيخ محمد بن سليمان الأشقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فلسطين عام (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) بقرية (بُرْقَة) إحدى قرى نابلس، وأتمّ دراسة الثانوية في فلسطين عام (١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م).

قال الشيخ: ولدت ببرقة[1] في ١٦ من أيلول (سبتمبر) سنة (١٩٣٠م)؛ (أي: ٢٢/ ربيع ثاني/ ١٣٤٩هـ) ونشأت في كنف والدي، وكان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمياً، إلا أنه كان يحب أهل العلم والإيمان ويبرهم، وحرص على تعليم أولاده وحملهم على مكارم الأخلاق، وكان أغلب عمله في الزراعة، ووالدتي حفظها الله كذلك في حرصها على تربية بنيها على حب العلم والدين، وقد قرأت القرآن دون معلم، ثم التحقت بالمدرسة الابتدائية في قريتنا، وتخرجت منها عام (١٩٤٤م)، ثم التحقت بالدراسة الثانوية بمدرسة الصلاحية

---

(١) بُرْقة: أهلها في أغلبهم من قبيلة (عتيبة) على ما ذكرته دائرة معارف البستاني في مادة: (حفاة) وينتمي الشيخ إلى الحفاة آل دغلس. استفيد بعض هذه الترجمة من مقابلة مع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نشرت على الإنترنت.

بنابلس، حيث مكثت أربع سنين، ذهبت بعدها إلى المملكة العربية السعودية فعملت في التدريس.

حياته في المملكة العربية السعودية
(١٩٥١ ـ ١٩٦٥م)

التحق الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمعهد الرياض الديني الثانوي بالمملكة العربية السعودية للعمل فيه مدرساً عام (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م).

وهناك عكف على الدراسة بكلية الشريعة بالرياض، وتخرج منها ضمن الفوج الأول. وتلقى العلم خلال ذلك على أيدي علماء أجلاء؛ كالشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ عبد الرحمٰن الأفريقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ عبد الرازق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيرهم. ثم عمل بالتدريس في بعض كليات ومعاهد الشريعة بالمملكة العربية السعودية، كما أسندت إليه إدارة المعهد الشرعي بشقراء.

حياته في دولة الكويت (١٩٦٥ ـ ١٩٩٠م)

انتقل الشيخ رحمه الله تعالى إلى دولة الكويت عام (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م) حيث عمل فيها بالأعمال الآتية:

- عمل في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إماماً وخطيباً في مسجد في الفحيحيل، ثم في الروضة.
- أسندت إليه أمانة مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من عام (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م) إلى (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) وقد أتم خلال هذه الفترة دراسة الماجستير، وإعداد رسالة الدكتوراه بالأزهر، التي حصل عليها عام (١٣٥٩هـ/ ١٩٧٦م).
- عين خبيراً بالموسوعة الفقهية بالكويت عام (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).
- اختير عضواً في لجنة الفتوى، ونائباً لرئيس لجنة الأمور العامة بهيئة الفتوى، حيث كانت مشاركته فيها من عام (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م) إلى عام (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
- كان خلال فترة وجوده بالكويت يدرّس، ويحاضر، ويفتي، وكان محل تقدير واحترام.

حياته في الأردن (١٩٩٠ ـ ٢٠٠٩م)

كانت حادثة الغزو الغاشم على دولة الكويت في (٢/ ٨/ ١٩٩٠م)، سببَ عودته إلى الأردن، على الرغم من استنكاره لهذا الغزو الغاشم، وعدم إقراره ـ كما سمعت ذلك منه شخصياً ـ. وقال: كنت أنوي أن أبقى في الكويت مدة أطول، ولكن العراقيين ـ وصلني خبر أنهم ـ يسألون عني بالاسم، فغادرنا وجئنا إلى عمان.

استقر في (عمان) وهناك انشغل بالتأليف والكتابة عن التدريس الجامعي، واكتفى بالتدريس على طريقة الشيوخ في حلق العلم الخاصة، خاصة في علم أصول الفقه، وكان كل همه أن يفقه طلابه فيما يدرس لهم، إلى أن اعتلّت صحته وفقد قدرته على السير، وضعف بصره في إحدى عينيه، وكان صابراً محتسباً في مرضه يستغيث بالله تعالى ويناجيه، ولم يتوقف علمه ولا عطاؤه، فبقي يفتي ويجيب عن الأسئلة التي توجه إليه عبر الهاتف، وبقيت صلته بالكتاب مستمرة، يقرأ ما يصل إليه من كتب.

وبعد تحرير دولة الكويت سعت وزارة الأوقاف

والشؤون الإسلامية إلى عودته إلى الكويت. وقد زكّاه الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى إلى الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح رحمه الله تعالى، كما أفاد بذلك فضيلة الشيخ د. خالد المذكور. لكنه اعتذر برسالة خطية للشيخ مشعل مبارك الصباح رئيس قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية في ذاك الوقت (١٩٩٧م) هذا نصها: «**أشكر لكم ـ حفظكم الله ـ ما أبديتموه من الرغبة في معاودتي العمل في الموسوعة الفقهية، وكم كان بودي أن أتمكن من تلبية رغبتكم، ولكن حقاً إن حالتي الصحية لا تمكنني من بذل الجهد المتواصل الذي يستلزمه العمل المذكور، وقد كنت وعدتكم صادقاً تلبية رغبتكم عندما أبديتموها عقب التحرير المبارك، ولو تيسر الأمر لذلك حينئذ لكنت عدت لمباشرة العمل الذي أحببته حباً جماً، أما الآن وقد تغيرت الأمور وما عدت قادراً على ما كنت أقدر عليه، فإن الذي يحز في نفسي ضياع تلك الفرصة من رفقتكم ورفقة الفريق العلمي الطيب في إنجاز المهمة الجليلة، آمل أن تلقى رسالتي هذه من أخي الكريم ما يطمئنني إلى قبول المعذرة لديكم، والعذر عند كرام الناس مقبول، وأسأل الله تعالى أن يعينكم على ما تصبون إليه من إكمال هذا العمل على خير وجه، وهكذا سائر الأعمال العلمية التي وضعتموها نصب أعينكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**».

وفـــاتـه رَحِمَهُ اللَّهُ

لما دنا موعد الرحيل سمعه من كان بجانبه يقرأ الفاتحة ثلاث مرات، ويكرر التسبيح والاستغفار، حسب رواية ابنته، ثم أسلم الروح إلى بارئها يوم الاثنين ٢٨ من ذي القعدة ١٤٣٠هـ الموافق (١٦/ ١١/ ٢٠٠٩م)، بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والإفتاء والدعوة إلى الله تعالى، فرحمة الله تعالى عليه رحمة واسعة، وتقبله بقَبول حسن، وغفر الله لنا وله، وأسكنه فسيح جناته، اللَّهُمَّ آمين. ومن فضل الله تعالى أن أجرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مع الشيخ مقابلة مصورة مطولة (ساعة كاملة تقريباً) قبيل وفاته، تحدث فيها بإسهاب عن الموسوعة الفقهية، وتجربته فيها، وإشادته بالكويت[1].

(١) ورد ذلك في مقابلة أجريت مع ابنته.

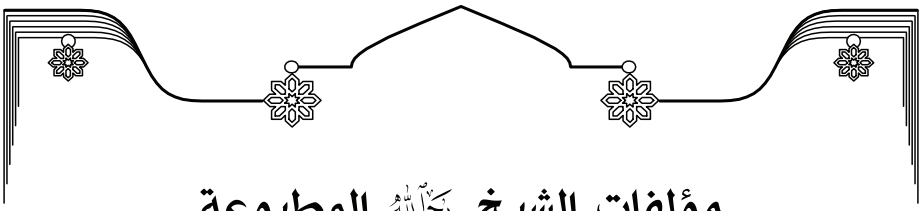

مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ المطبوعة

ألّف الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في علوم عدة؛ منها: التفسير، والحديث الشريف، والفقه وأصوله، والفتاوى، والفهارس، واللغة، والسلوك والأخلاق، وتبلغ مؤلفاته المطبوعة أكثر من ٢٠ عنواناً، ما بين كتاب ورسالة وبحث، هي:

١ ـ «أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية» رسالة دكتوراه، حصل عليها من كلية الشريعة بجامعة الأزهر عام (١٣٥٩هـ/ ١٩٧٦م) بإشراف الشيخ عبد الغني عبد الخالق، وعناية الشيخ جاد الرب رمضان، والشيخ مصطفى عبد الخالق، طبعتها مكتبة المنار الإسلامية بالكويت سنة (١٩٧٨م)، وطبعتها مؤسسة الرسالة بيروت.

٢ ـ «الواضح في أُصول الفقه»: وهو من الكتب الجامعة بين السهولة والجمعِ، طبعته دار النفائس، عدد الصفحات (٣١١) صفحة.

٣ ـ «الفتيا ومناهج الإفتاء»: وهو بحث أصولي، طبعته مكتبة المنار الإسلامية، بالكويت الطبعة الأولى سنة

(١٩٧٩م)، عدد الصفحات (١١٠) صفحات وهو من ثمانية فصول، تناولت حكم الإفتاء، وحقيقة عمل المغني، ومؤهِّلاتهِ، وانحرافات الفتيا، والإفتاء والرسم، وتنظيم الإفتاء.

٤ ـ «الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي»: وهو كتاب نفيس يفيد المشتغلين بالتأليف والتدريس والتحقيق والفهرسة طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، وعدد صفحاته (١٢٨) صفحة.

٥ ـ «فهرس المغني في الفقه الحنبلي» لابن قدامة. طبعته دار البحوث العلمية سنة (١٣٩١هـ)، وعدد صفحاته (١٠٨) صفحات.

٦ ـ «فهرس البداية والنهاية»، و«نهاية البداية»، لابن كثير، طبعته دار الأرقم، الكويت سنة (١٤٠٤هـ)، وعدد صفحاته (٤٢٨) صفحة.

٧ ـ «كيف تدخل في الإسلام؟» مختصر للدُّعاة، طبعته دار النفائس في عمان سنة (١٤١٣هـ)، وعدد صفحاته (٥٨) صفحة.

٨ ـ «معجم علوم اللغة العربية». طبعة دار النفائس في عمان.

٩ ـ «معجم المغني» لابن قدامة، بالاشتراك مع آخرين، طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

١٠ ـ «المجلّى» في الفقه الحنبلي، طبعة مكتبة دار الأرقم بدمشق في مجلدين.

١١ ـ أبحاث فقهية في قضايا الزكاة المعاصرة (مع آخرين) للشيخ منها:

- «الأصول المحاسبية للتقويم في الأموال الزكوية».
- «أحكام المال الحرام، وحكم إخراج زكاته».
- «الإلزام بالزكاة في الظاهر والباطن من الأموال».
- ومشمولات كل منهما في العصر الحديث.

١٢ ـ بحوث فقهية في قضايا اقتصادية معاصرة (مع آخرين) للشيخ فيها: (أ) التأمين على الحياة، وإعادة التأمين. (ب) بدل الخلوّ. (ج) بيع المرابحة كما تجربه المصارف الإسلامية. (د) الأسس والقواعد التي تحكم النظام التجاري في الإسلام. (هـ) الامتيازات الاتفاقية على الديون. (و) عقد السَّلَم. (ز) عقد الاستصناع. (ح) آداب الاستقراض. (ط) النقود وتقلب قيمة العملات. (ي) صيانة الأعيان المؤجرة، وتبعية ذلك على المؤجر والمستأجر.

١٣ ـ أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي. طبعته دار النفائس في عمان.

١٤ ـ «فقه العمل للآخرة وجزاء الأعمال وموازنتها في الكتاب والسُّنَّة».

١٥ ـ أبحاث فقهية متعددة ظهرت في الموسوعة الفقهية منها: تصوير. دعوة. ذكر. بيت المال. مصحف. لحية. رِقّ. أرض الحَوز.

كتب حققها الشيخ

١ ـ «نيل المآرب شرح دليل الطالب في الفقه»: للشيخ عبد القادر التغلبيّ الشيبانيّ الحنبلي. ط. دار الفلاح.

٢ ـ «حاشية الشيخ عبد الغني اللبدي على نيل المآرب». طبعته دار البشائر في بيروت.

٣ ـ «مجموع بالمناقلة والاستبدال بالأوقاف»، لابن قاضي الجبل الحنبلي وآخرين. طبعة دار الرسالة، بيروت سنة (١٤١١هـ).

٤ ـ «المستصفى» للغزالي محمد بن محمد بن أحمد، ط. الرسالة.

٥ ـ «إجمال الإصابة في أقوال الصحابة» للعلائي، (بحث أصولي). طبعته مكتبة دار النفائس بعمان.

٦ ـ تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة: للعلائي، بحث أصولي طَبعَة (مُؤسَّسَةِ الرِّسالَةِ) بيروت.

٧ ـ «زبدة التفسير من فتح القدير»: اختصار تفسير «فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير» للشوكاني، الذي جمع فيه بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية؛ وقد توسّع في باب الرواية، مع تعرُّضه للترجيح بين التفاسير. وقد أخذه من «تفسير القرطبي» و«الدر المنثور للسيوطي»، واستفاد من «أبي جعفر النَحّاس» و«ابن عطية الدمشقي» و«ابن عطية الأندلسي» و«الزَمَخْشَري» وهو يهتم بذكر المناسبات بين الآيات، ويحرص على إيراد الأحاديث والآثار بدون إسناد، ويعزوها ويحكم عليها أحياناً، ويذكر مذاهب العلماء الفقهية، واختلافاتهم، وأدلتهم، ويرجّح ويستنبط، ويذكر القراءات السبع، وقد بنى تفسيره على رواية «نافع المدني» ويذكر القراءات الشاذة أيضاً، ويؤخذ عليه إيراده لبعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ولا يُنبِّه عليها، وهو قليل النقل للإسرائيليات، لكنه قد ينقل مضمون بعضها في تفسير بعض الآيات، ويهتم باللغة كثيراً.

قال الشيخ: «زبدة التفسير»، هو على اسمه زبدة؛ أي:

ليس فيه حشو مطلقاً، وإنما التفسير على قدر المطلوب بالضبط، فيكشف معنى الآية بكل يسر وسهولة ووضوح وهو ميسر للناس وقد أخليته من أي مصطلح يشق على المطالع الذي لا معرفة لديه بالمصطلحات، فأي مثقف عادي يستطيع أن يفهم المراد من الآية فهماً سليماً، فهذا أكثر كتاب اعتزُّ به.

تميز «زبدة التفسير»: بجعله على قول واحد في تفسير الآية غالباً، هو أولى الأقوال بالصحة وأقربها إلى المعنى المتبادر، مع تجاوزه التحليلات اللغوية والتعبيرات الاصطلاحية.

مؤلفات الشيخ المخطوطة

- «الجامع العزيز في الحديث».
- «الأربعون حديثاً الطوال»، جمع ودراسة وشرح.
- «لهجة برقة ووادي الشعير من قرى فلسطين» معجم مصنّف.
- «مجموعة أبحاث أصولية».
- «ترميز كتب الحديث» بحث مقدم إلى مؤتمر السُّنَّة في قطر ١٤١٠هـ.
- مشاركة النساء في الولايات العامة والجزئية ومجالس الشورى والمجالس النيابية.
- «صحيح مسند الإمام أحمد على شرط البخاري».
- «التفسير المنير مختصر تفسير ابن كثير».

منهج الشيخ رحمه الله تعالى
في الاعتقاد والفقه والتفسير

منهجه العلمي

كان المنهج العلمي الذي سار عليه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودعا إليه ـ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ـ هو منهج اتباع الدليل، حيث سلك في معرفة الأحكام الشرعية مسلك أهل التحقيق والاجتهاد، بعد أن آمن بوجوب ذلك على العلماء، وأن عليهم أن يبذلوا قصارى جهدهم وطاقتهم للتوصل إلى الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وبخاصة المتفق عليه منها عند جمهور الفقهاء؛ من كتاب الله تعالى، وسُنَّة نبيه الكريم ﷺ، وإجماع علماء الأمة المعتبرين، ومعرفة الأحكام الشرعية، والقياس عليها، ويرى أن على العالم أن يسعى جاهداً لتحقيق الاشتراطات التي تؤهله لأن يكون من أهل النظر بالأدلة والاجتهاد.

وقد رسم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهجاً عملياً ينبغي أن يسير عليه المجتهد للوصول إلى الحكم الشرعي، وبيَّن ذلك جليّاً في

كتابه «الواضح في أصول الفقه للمبتدئين» وكان على الرغم من كونه فقيهاً متبعاً للنصوص، ومقتفياً للأثر، إلا أنه كان لا يقف عند ظاهرها، بل كان يجهد نفسه في فهم معانيها، وظروفها، يوفق بينها، ويدفع تعارضها، ويتحرى ناسخها ومنسوخها، وكل ذلك دون تكلف أو تنطع، ومن ينظر في كتابه «أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية» يعرف حقيقة ذلك، ومما يُستشهد به في هذا مناقشتُهُ لمعنى حديث النبي: «**وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[1]، فيذكر أن الأمر حمل فيه على الإرشاد، وليس على الوجوب، كما يفيد ظاهر النص، بعد مناقشة علمية مفيدة.

وعلى الرغم من أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تفقه بمذهب الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ[2]، وتعمق به، وكان ملمّاً بدقائقه، إلا أنه لم يكن (عملياً) متقيداً به في جميع فروعه ومسائله، وبخاصة بعد أن تولى مهام في الإفتاء والموسوعة الفقهية، فضلاً عن التعصب له، يعرف ذلك جيداً من كان قريباً منه،

---

(١) «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»: رواه البخاري.

(٢) في «تاج العروس»: تفقَّه على مذهب كذا. يقال: تفقه على فلان، وتفقه بفلان، وتفقه عند فلان، وتفقه لفلان، والأكثر تفقه على فلان (مستفادة من كتب التراجم) تفقه: صار فقيهاً، ويقال: تفقه فيه. «المعجم الوسيط».

أو استمع إلى بعض دروسه، وكان يستدرك على المذهب ويقول أحياناً: أنا أميل في هذه المسألة إلى ما ذهب إليه الشافعية ونحو ذلك.

ثانياً: منهجه في مسائل الاعتقاد

لم أر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يميل للخوض في مسائل الاعتقاد، بل كان يكتفي عند المرور بها بشرحها شرحاً موجزاً.

ومن يتتبع كتابه «زبدة التفسير»[1] ويقف عند تفسيره لآيات صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يجد أن منهجه الإيمان بأنها حق بلا تكييف ولا تشبيه، وبلا تأويل ولا تعطيل، فيمرها كما جاءت، ويؤمن بها على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[2].

---

(١) «زبدة التفسير»: اختصار لكتاب «فتح القدير» للشوكاني (١١٧٣ ـ ١٢٥٠هـ) محمد بن علي، من أهل صنعاء، قاضي قضاة اليمن. المعروف بمنهجه بالتزام عقيدة السلف في حمل صفات الله تعالى الواردة في القرآن والسُّنَّة على ظاهرها، من غير تأويل، انظر رسالته في ذلك: «التحف بمذاهب السلف» وهو مطبوع بتحقيق: سيد عاصم علي، دار الصحابة للتراث.

(٢) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة».

أما منهجه مع مخالفيه في ذلك: فإنه كان يسير معهم سيرة حسنة، يذكر لهم فضلهم، ويستفيد من علمهم، ويتعامل معهم على أحسن ما ينبغي للمسلم أن يتعامل مع أخيه المسلم، وهذا ما رأيته من شيمه مع أعضاء هيئة الفتوى، وإن لم يوافقوه في الرأي والاجتهاد، متمثلاً قول الشافعي رحمه الله تعالى، عندما اختلف مع يونس الصدفي في مسألة ما وافترقا ولقيه في يوم آخر، فأخذه بيده ثم قال له: «يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق»[1].

❁ ❁ ❁

(١) قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة. «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٦).

ثالثاً: منهجه في الفتوى

كان منهج الشيخ رحمه الله تعالى في الفتوى واقعياً، فعلى الرغم من قناعته التامة بوجوب الاجتهاد على العالم، وتحري الدليل، فقد كان يرى أن العالم يسعه أن يجيب المستفتي بأحد المذاهب الفقهية المعتبرة عند العجز، وحالة الضرورة، ولم يكن له اجتهاد سابق في تلك المسألة المعروضة عليه، وكان لا يرى في ذلك بأساً، بل صرح بأنه في كثير من المسائل التي لم يسعه فيها النظر والاجتهاد، أو عند عجزه، وضرورة السائل إلى معرفة الجواب، أنه يسلك في ذلك مسلك أهل التقليد أو الإتباع إن كان الدليل ظاهراً في المسألة.

وكان رحمه الله تعالى وقّافاً عند الحق، غير متعصبٍ لرأيه، وما أدّاه إليه اجتهاده، إذا اقتنع بوجهة نظر الآخرين، ولا تأخذه العزة بالإثم، وقد تجلى ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، في كتابه «زبدة التفسير» حيث أورد أحد الأقوال الذي استنكره كثير من المفسرين، ولم ير الشيخ

بأساً بإيراده، وقد دلل على صحة هذا القول في معرض رده على الكتاب الوارد إليه من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، والذي ورد فيه تحفظ اللجنة المختصة لمراجعة المطبوعات في الوزارة على إيراده لهذا القول، فقد دافع الشيخ عن موقفه هذا، وبعث برسالة في ذلك بتاريخ (٢٥/ ٦/ ٢٠٠٢م)، هذا نصها:

«وبالنظر إلى المراجعة العلمية حول ما جاء في «زبدة التفسير» حول قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ من أن معناها ظن أن الله تعالى لا يقدر على معاقبته، وأن هذا القول ضعيف لأن هذا الظن كفر لا يقع من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فأنا أوردت قولين، أولهما هو ظاهر الآية، وليس ذلك كفراً إذا فهمنا معنى الظن المراد في الآية؛ فالمراد به مجرد خطورة الشيء بالذهن من غير أن يستقر في النفس، ويتحقق به صاحبه، ومثل هذا لا مؤاخذة به كما في الحديث الصحيح: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل به»، وشبيه بهذه الآية قوله تبارك وتعالى في آخر سورة يوسف عليه السلام: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ [يوسف: ١١٠]، فقد ورد تفسيرها على ظاهرها عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره قال القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢٧٦): وهو آخر ما أورده القرطبي بعد أن

ذكر لها عدة تأويلات متعسّفة: «في رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: ظن الرسل أن الله قد أخلف ما وعدهم به؛ أي: من النصر، ثم قال القرطبي: قال القشيري أبو نصر: ولا يبعد إن صحت هذه الرواية أن المراد خطر ببال الرسل هذا من غير أن يتحققوه في أنفسهم، وفي الخبر: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل به»، ويجوز أن يقال: المعنى قربوا من ذلك الظن؛ كقولك: بلغت المنزل؛ أي: قريباً منه. ثم قال القرطبي: وذكر الثعلبي والنحاس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا بشراً فضعفوا من طول البلاء، ونسوا وظنوا أنهم قد أخلفوا[1]، فإذا تبين المراد بالظن كان بعيداً كل البعد أن يقال: إنه كفر، وسوف ننتهز صدور طبعة جديدة من الكتاب لتعديل النص بما يجلّي المعنى، أشكر لكم العناية والنصيحة لكتاب الله، وللمؤمنين ولأخيك، وجزاك الله خيراً».

ثم بعد أن اطلع الشيخ على الرسالة المتضمنة الفتوى الصادرة عن هيئة الفتوى بخصوص العبارة السابقة، وما جاء فيها من وجوب رفع هذا الرأي نهائياً من كتاب «زبدة التفسير» نظراً لأنه رأي مردود من قبل العديد من كبار

---

(١) «تفسير القرطبي» (٩/ ٢٧٦).

المفسرين كالقرطبي، والشوكاني، وغيرهم[1]، فقد أجاب الشيخ على هذه الرسالة بالتالي:

«تسلمت رسالتكم المتضمنة لفتوى الهيئة الشرعية حول عبارة وردت في كتاب «زبدة التفسير»، في تفسير قوله تعالى في حق يونس عليه السلام وهي: «وقع في ظنه أن الله لا يقدر على معاقبته» وأن اللجنة رأت أن هذا القول مردود لأنه يتضمن نسبة الكفر إلى نبي الله يونس عليه السلام، أشكركم على هذه اللفتة الطيبة، وأفيدكم أنه لا مانع عندي من شطب هذه العبارة ورفعها من الكتاب بالنسبة للطبعات التي تصدر لاحقاً، وقد أرسلت إلى ناشر الطبعات التجارية ليطلب من المطبعة في بيروت أن تشطب هذه العبارة بالكلية، حفظكم الله، وبارك فيكم، وتحيتي إلى أعضاء هيئة الفتوى، أسأل الله أن يديمهم منارات للهدى، والسلام عليكم ورحمة الله».

وبفضل الله تعالى فبتاريخ ١٥ من رجب ١٤٣١هـ الموافق (٢٧/٦/٢٠١٠م) فقد ورد إلى لجنة الأمور العامة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سؤال محول من قطاع الشؤون الثقافية في الوزارة حول جواز شراء الوزارة لكتاب

---

(١) الفتوى ذات الرقم (١٣٠ع/ ٢٠٠٢) المؤرخة في ٧ من ربيع الآخر ١٤٢٣هـ/ الموافق ١٨/٦/٢٠٠٢م.

«زبدة التفسير» بهامش مصحف المدينة المنورة بعد أن قام المؤلف رحمه الله تعالى بتعديل التفسير الأول الوارد أعلاه، وعليه أجابت لجنة الأمور العامة بما يلي:

«اطلعت اللجنة على ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧] **في تفسير «زبدة التفسير» (ص٤٢٩)، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، الطبعة الثانية سنة (١٩٩٨م)، وورد التالي:** ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ **قيل: معناها أنه وقع في ظنه أن الله تعالى لا يقدر على معاقبته. وقيل المعنى: ظن أن الله لن يُقدر عليه العقوبة** ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ **ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، كما اطلعت اللجنة على فتواها رقم (١٣٠ع/ ٢٠٠٢) المتضمنة وجوب رفع الرأي الأول نهائياً من هذا التفسير، وهو قوله: وقع في ظنه أن الله تعالى لا يقدر على معاقبته، ثم اطلعت اللجنة على ما أورده المؤلف في طبعة دار النفائس للنشر والتوزيع (الأردن)، الطبعة الخامسة ٢٠٠٦م، ونصه: (فظن أن لن نقدر عليه) قيل معناها: أنه ظن أن الله لن يضيق عليه، وقيل المعنى: أنه ظن أن الله لن يقدر عليه العقوبة. وبذلك يكون المؤلف قد استجاب لطلب اللجنة**

الوارد في الفتوى المشار إليها، فرفع الرأي المطلوب رفعه، وأضاف رأياً آخر لم يكن موجوداً في الطبعة الأولى، وهو (ظن أن الله لن يضيق عليه) وهو رأي أورده جمع من المفسرين، وعليه فلا مانع من شرائه إذا رأت الوزارة ذلك، والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم»[1].

(١) انظر: الفتوى ذات رقم (٤٢ع/ ٢٠١٠م).

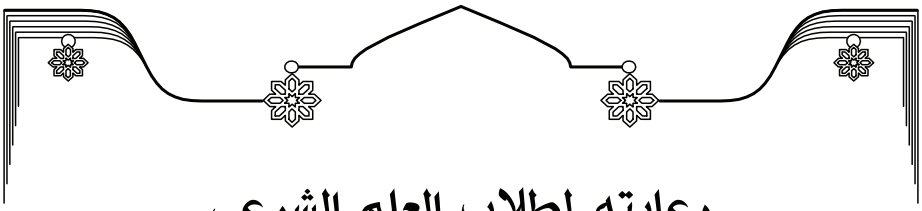

رعايته لطلاب العلم الشرعي

عرف عن الشيخ أنه كان محبّاً لطلبة العلم الشرعي، ناصحاً لهم، محاوراً وصبوراً عليهم، رفيقاً بهم، يحرص على أن يربطهم بالمنهج العلمي الذي آمن به لا بشخصه، ولو أنه رغب في ذلك بإذن الله تعالى لاستطاع بما حباه من صفات تأسر محبيه ومجالسيه، ولكن أبى إلا أن يسلك مع طلابه مسلك العلماء الربانيين، فيتدرج بهم، ويربيهم على صغار العلم قبل كباره، وأن يربطهم بالمنهج والقواعد الشرعية الصحيحة التي يتوصلون بها إلى معرفة الحق، وحكم الله تعالى ما وسعه ذلك، ومن أمثلة ذلك ما ورد عنه في فاتحة كتابه «الواضح في أصول الفقه للمبتدئين»: «أُقدمه للناشئة المسلمة، كمدخل ميسر لدراسة أصول الفقه الإسلامي، ولم أرد به الاستقصاء، وإنما قصدت تعريفهم بمصطلحات هذا العلم، وأفكاره الرئيسية، وقد ذيلت أبحاثه بمسائل للمناقشة، تعين على مزيد من التفهم والتفكير، وتمارين يتمرس بها الطالب على تطبيق قواعد هذا العلم على أدلة الأحكام».

ومن درس عند الشيخ الفقه أو الأصول أو استمع إلى أشرطته المسجلة، يعرف ذلك منه جيداً، ومن استمع إلى محاورة الشيخ لبعض طلابه في أحد دروسه من خلال الأشرطة المسجلة لهم في موضوع «الفتيا» ـ وهي ثلاثة أشرطة ـ يدرك جيداً مدى سعة صدر الشيخ واحتماله لطلابه، وطول نفسه في محاورتهم.

وكان من منهجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدرس أنه لا يحب أن يسرد الدرس سرداً ثم يفتح المجال للأسئلة، كما درج على ذلك الكثير من العلماء، بل كان يميل إلى أن يدرب طلبة العلم على المحاورة والمناقشة أثناء الدرس حتى لو قاطعوه مستفسرين، رغبة منه في تكوين ملكة الاجتهاد لدى طلابه.

وأذكر مرة عندما كان يدرسنا من كتاب منار السبيل ونيل المآرب على المذهب الحنبلي أن تذمر بعض طلبة العلم من بعض الطلبة الذين كانوا يقاطعون الشيخ أحياناً بالأسئلة ويستجيب الشيخ لهم، ويمضي معهم في المناقشة والأخذ والرد، وعندما طلب مني بعض الطلبة أن أنبه الشيخ على ذلك، فقد أخبرت الشيخ بتضايق البعض من تلك الطريقة، قال لي الشيخ ما معناه: أنا لو لم يسألني هؤلاء الطلبة لسألتهم، فأنا لا أحب أن أسرد الدرس سرداً.

علاقته بالعلماء

أما عن علاقته بزملائه وإخوانه من العلماء ممن صاحبهم من أعضاء هيئة الفتوى وغيرهم، فقد كان يكن لهم كل تقدير واحترام، وبالأخص من يكبره منهم في السن؛ كالشيخ بدر المتولي عبد الباسط الذي كان يعتبره أباً علمياً للهيئة[1]،

---

(١) **الشيخ بدر المتولي عبد الباسط**: فقيه حنفي، ولد بمصر عام (١٩٠٦م)، حصل على الدكتوراه في فقه الحنفية وأصول الفقه عام (١٩٣٥م)، من أشهر شيوخه محمود شلتوت شيخ الأزهر، والشيخ مأمون الشناوي، درَّس وألقى المحاضرات في العديد من جامعات الدول الإسلامية، ألف بعض الرسائل العلمية، واختير عضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وعُين أميناً عاماً للموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، ومستشاراً شرعياً لبيت التمويل الكويتي، وشارك في عضوية هيئة الفتوى من عام (١٩٧٥م) في دولة الكويت، ثم ترأسها عقب وفاة الشيخ عبد الله النوري رَحِمَهُ اللَّهُ عام (١٩٨٢م)، واستمر إلى عام (١٩٩١م)، وقد منحت له عدة شهادات وأوسمة لتميزه العلمي والأدبي.

والشيخ محمود الأزرق رحمهما الله تعالى[1]، والشيخ حسن مراد مناع[2]، والشيخ محمد فوزي فيض الله رعاهما الله تعالى[3]، وكان على الرغم من تبنيه لآراء تخالف ما تتوصل

---

(١) **الشيخ محمد محمود الأزرق**: عالم متمكن، ولد بمصر عام (١٩١٠م)، حصل على الشهادة العالمية من كلية الشريعة بالأزهر عام (١٩٣٥م)، وإجازة في القضاء الشرعي عام (١٩٣٧م)، وكان الأول على دفعته، قام بالتدريس وإلقاء المحاضرات في كلية الشريعة بالأزهر، عمل مستشاراً بمحكمة الاستئناف العليا بالكويت من عام (١٩٦٥م إلى عام ١٩٧٨م)، ثم عُين خبيراً في الموسوعة الفقهية، وشارك في عضوية هيئة الفتوى في الكويت من عام (١٩٨٣م إلى عام ١٩٨٨م).

(٢) **الشيخ حسن مراد مناع**: عالم حنفي، ولد بمصر عام (١٩١٩م)، حصل على العالمية في إجازة التدريس في المعاهد الأزهرية، كما تقلد بعض المناصب الإدارية والإشرافية، ومنها ترأسه لمعهد طنطا التابع للأزهر، عُين رئيساً لتحرير مجلة الوعي الإسلامي بدولة الكويت، ثم مستشاراً شرعياً في قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية شارك في عضوية هيئة الفتوى من عام (١٩٦٩م)، ثم ترأسها في عام (١٩٩١م)، واستمر بها حتى عام (٢٠٠٩م). توفي رَحِمَهُ اللَّهُ أثناء إعداد هذا الكتاب للطباعة، فرحم الله عليه رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

(٣) **الشيخ د. محمد فوزي فيض الله**: عالم وفقيه حنفي، من مواليد سوريا (حلب) حصل على درجة أستاذ الدكتوراه في الفقه =

إليه هيئة الفتوى أحياناً إلا أنه كان ملتزماً باجتماعات الهيئة، ولجانها وقراراتها، منسجماً مع خطها العام الذي يحكم قراراتها، من التقيد بما ذهب إليه جمهور الفقهاء إلا إذا استدعت المصلحة الخروج عن ذلك، فقد كان مع إلمامه بالمذهب الحنبلي يمثل مدرسة فقه الدليل والاجتهاد، وكان رحمه الله تعالى يجادلهم بالتي هي أحسن، وبألطف عبارة عندما يريد أن يقنعهم برأيه، ويشرح لهم ما فهمه من الدليل، كما كان أعضاء هيئة الفتوى يثنون عليه، ثناء عاطراً لما شاهدوا منه من خلقٍ رفيع، وحلمٍ، وسعة صدر، فضلاً عن تبحر في العلم.

= والأصول عام (١٩٧٣م)، ومن أشهر شيوخه الشيخ أحمد محمد الكردي، والشيخ مصطفى الزرقا، والشيخ محمود شلتوت، تولى التدريس وإلقاء المحاضرات في العديد من الجامعات فترة من الزمن، تخرج على يديه الكثير من العلماء، شارك في عضوية هيئة الفتوى من عام (١٩٨٣م حتى عام ١٩٩٥م)، وله مؤلفات عديدة في مجال الفقه والتشريع الإسلامي.

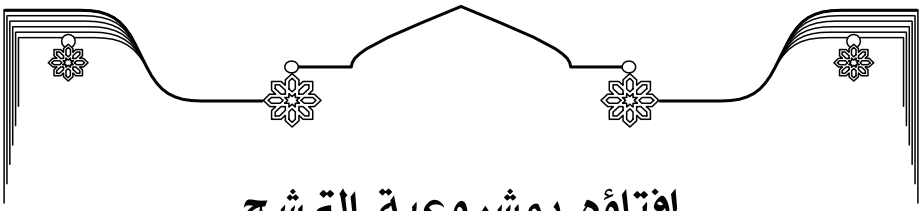

إفتاؤه بمشروعية الترشح والانتخاب للمرأة لعضوية المجالس النيابية

كان يتلطف مع مخالفيه في الرأي، وظهر ذلك جلياً في أثناء رده، ودفاعه عن موقفه من الحديث المروي عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «**لَقَدْ نَفَعَنِي اللهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ أَيَّامَ الْجَمَلِ بَعْدَ ما كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى قَالَ: لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً**»[1]، فقد ردَّ الشيخ هذه الرواية بحجة أنها وردت عن صحابي قد رُدّت شهادته؛ حيث حكم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإقامة حد القذف عليه، ورد شهادته، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤﴾، وبعدها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [النور: ٤ ـ ٥] واستلزم ذلك رد كل الروايات المروية عنه

---

(١) رواه البخاري.

في صحيح البخاري، ومن ثم التشكيك ببعض مرويات البخاري الذي تلقت الأمة كتابه بالقبول، مما أثار حفيظة بعض العلماء، وطلاب العلم عليه، ودفعوا كلامه، دفاعاً عن مكانة الصحابة ﷺ لكي لا يفتحوا باباً للنيل منهم، والحط من أقدارهم، وكذا التشكيك بكتاب صحيح البخاري، وجاءت هذه الردود ما بين متحاملة على الشيخ، وقاسية عليه، تغمز فيه وتلمز، وما بين منصفة للشيخ تذكر فضله، وعلمه، وتفند حججه، وترد عليه، وعلى الرغم من ذلك فقد أكد الشيخ موقفه لاستحكام شبهة الحق لديه، ودافع عن اجتهاده ذلك، بما قام لديه من أدلة جهد نفسه، وبل وقام يفند جميع ما أثير عليه من اعتراضات، بهدوئه المعروف، وسعة صدره المعهودة، وقد تمنيت من بعض من تصدى للرد على الشيخ حينها، أن لو التزموا بما أصّله العلامة ابن قيم الجوزية في كتابه المبارك «مدارج السالكين» عند تفنيده لمقولة الشيخ أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي[1]، عندما اعتبر منزلة الرجاء «**من أضعف منازل المريدين؛ لأنها معارضة من وجه، واعتراض من وجه**»، ثم ذكر أن ليس لها إلا «**فائدة واحدة نطق بها التنزيل والسُّنَّة،**

---

(١) الشيخ أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي (٣٩٦ ـ ٤٨٣هـ) صاحب كتاب «منازل السائرين».

هي كونه يبرد حرارة الخوف، حتى لا يفضي به بصاحبه إلى اليأس» فقد اتبع العلامة ابن قيم الجوزية في رده على شيخ الإسلام الهروي أسلوباً راقياً وفريداً، يتلخص بالآتي:

أولاً: أثنى على الشيخ، واعتذر له، وحمل كلامه على أحسن محامله، ثم بيَّن أن الحق أحب إليه من الشيخ، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**شيخ الإسلام حبيب إلينا، والحق أحب إلينا منه، وكل من عدا المعصوم ﷺ فمأخوذ من قوله ومتروك، ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله، ثم نبين ما فيه.. ثم قال: هذا ونحوه من الشطحات التي تُرجى مغفرتُها بكثرة الحسنات، ويستغرقها كمال الصدق، وصحة المعاملة، وقوة الإخلاص، وتجريد التوحيد، ولم تضمن العصمة لبشر بعد رسول الله ﷺ**» إلى أن قال: «**ولولا أن حق الحق أوجب من حق الخلق لكان في الإمساك فسحة ومتسع**».

ثانياً: فنّد كلام الشيخ تفنيداً علمياً وموضوعياً وبين ضرورة منزلة الرجاء للسالك والمتعبد، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وبالجملة؛ فالرجاء ضروري للمريدِ السالِك، والعارف لو فارقه لحظة لتلف أو كاد، فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها، ولا ينفك أحد من السالكين عن هذه**

الأمور أو بعضها، فكيف يكون الرجاء من أضعف منازله، وهذا حاله؟».

ثالثاً: بين الموقف الصحيح تجاه زلات العلماء وشطحاتهم، فقال: «**وهذه الشطحات أوجبت فتنةً على طائفتين من الناس، إحداهما: حُجبت بها عن محاسن هذه الطائفة، ولطف نفوسهم، وصدق معاملتهم، فأهدروها لأجل هذه الشطحات، وأنكروها غاية الإنكار، وأساؤوا الظن بهم مطلقاً وهذا عدوان وإسراف، فلو كان من أخطأ أو غلط تُرك جملة وأهدرت محاسنهُ، لفسدت العلوم والصناعات، والحكم، وتعطلت معالمها.**

والطائفة الثانية: حُجبوا بما رأوه من محاسن القوم، وصفاء قلوبهم، وصحة عزائهم، وحسن معاملاتهم عن رؤية عيوب شطحاتهم، ونقصانها، فسحبوا عليها ذيل المحاسن، وأجروا عليها حكم القبول والانتصار لها، واستظهروا بها في سلوكهم، وهؤلاء أيضاً معتدون مُفَرِطُون.

والطائفة الثالثة: وهم أهل العدل والإنصاف، الذين أعطوا كل ذي حق حقه، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح، بل قبلوا ما يُقبل وردوا ما يُرد».

ومن أجمل ما قيل في هذا المقام ما قاله **الحافظ**

الذهبي وهو: «**وَلَوْ أَنَّا كلَّمَا أَخْطَأَ إِمَامٌ فِي اجْتِهَادِهِ فِي آحَادِ المَسَائِلِ خَطَأً مَغْفُوراً لَهُ، قُمْنَا عَلَيْهِ، وَبدَّعْنَاهُ، وَهَجَرْنَاهُ، لَمَا سَلِمَ مَعَنَا لا ابْنَ نَصْرٍ، ولا ابْنَ مَنْدَهَ، ولا مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمَا، وَاللهُ هُوَ هَادِي الخَلْقِ إِلَى الحَقِّ، وَهُوَ أَرحمُ الرَّاحمِينَ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الهوَى وَالفظَاظَةِ**»[1].

وما قاله **ابن القيم** رَحِمَهُ اللهُ: «**ومن له علم الشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله لمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل ومأجور باجتهاده، فلا يجوز أن يُتّبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين**»[2].

وكذا قال **ابن رجب الحنبلي** رَحِمَهُ اللهُ (ت٧٩٥هـ): «**ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه**»[3].

وأعتقد أن الذي أوجب هذا للشيخ رَحِمَهُ اللهُ ـ والله أعلم ـ

---

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم، ط. دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٣م، تحقيق: محمد حامد الفقي (٢/ ٤٠).

(٢) «إعلام الموقعين» (٣/ ٢٩٥).

(٣) «القواعد» (ص٣).

هو اعتقاده الجازم بوجوب الاجتهاد على العالم إن تيسر له ذلك للتوصل إلى معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، ويرى أن ذلك هو الذي تعبد الله العلماء به، الأمر الذي جعل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبذل قصارى جهده للتوصل إلى حكم الله تعالى في هذه المسالة، من خلال استقصاء النصوص الواردة فيها، والبحث في أسانيدها، ومدلولات ألفاظها، والاستشهاد بالتاريخ، والواقع على صحة ما ذهب إليه، إلى أن أداه بحثه إلى النتيجة التي آمن بها، واستقرت في نفسه، على الرغم من إدراكه لسنه المتقدم، وعلمه بقرب موعد المصير المحتوم من ربه تعالى، كما صرح بذلك في ردوده على المعترضين عليه (٢٥/ ٩/ ٢٠٠٤م) وسؤاله ربه المغفرة والرحمة، واجتهاده هذا سبق أن أفتى به، عندما عرضت المسألة على هيئة الفتوى عام (١٩٨٥م)، مخالفاً بذلك غالبية أعضاء الهيئة آنذاك، ولا نشك أن دافعه في ذلك هو تبيان الحق الذي اعتقده، ويدين الله تعالى به.

وأقول: إن الشيخ عزيز علينا، وحبيب إلى قلوبنا، لذا عز علينا جرأة بعض طلاب العلم عليه، بالغمز، أو اللمز الجارح، أو التهكم به من بعض العلماء، وطلاب العلم، لا يليق بمكانة الشيخ، ولا بمن صدر منه ذلك، وإن كانت دوافعهم الغيرة على مكانة الصحابة رضوان الله عليهم

أجمعين، إلا أنه ما هكذا يتم التعامل مع علماء الإسلام المشهود لهم بالصلاح والتقوى، ولا بهذا الأسلوب ونحوه يناقشون، ويحاورون، وقد قال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «**كنا نناظر أصحابنا، وكأنا على رؤسنا الطير، مخافة أن يزل صاحبنا**»[1].

وأقول أيضاً ياليت شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ كذلك أخذ بنصيحة أخيه **الشيخ الدكتور محمود الطحان**، عالم الحديث، والمعروف باتزانه واعتداله وغيره ـ من الغيورين على الدين ـ، عندما قال له مناشداً بعد أن بيَّن للشيخ ما أجمع عليه المحدثون، من عدالة هذا الصحابي الجليل، وصحة ما جاء في «صحيح البخاري» من مرويات ـ ما يلي ـ: «وفي الختام: أرجو أن يتسع صدر أخينا الشيخ الفاضل العالم الفقيه الدكتور محمد الأشقر لهذه الملاحظات، وأن يلهمه الله تعالى أن يتراجع ويعتذر عما صدر منه في هذين المقالين في صحيفة «الوطن» فإنه أهل للرجوع إلى الصواب ونحسبه كذلك، وما أظنه قصد بما قال إلا خيراً، ولكنه أخطأ خطأ غير مقصود إن شاء الله تعالى، فلا نعرفه إلا بالاستقامة والفضل، وما قصدت من مقالي هذا انتقاض الشيخ

---

(١) تبين الحقائق شرح كنز الرقائق: الزيعلي (عثمان بن علي، ت٧٤٣هـ) ط. الأميرية.

أو الإساءة إليه ـ والله حسبي ـ وإنما قصدت الدفاع عن السُّنَّة النبوية الشريفة، والله يغفر لنا وله زلاتنا غير المقصودة، وإنه ﷻ سميع مجيب. والحمد لله رب العالمين»[1].

ويا ليت الشيخ أيضاً وقف عند النصيحة التي أسداها له **الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر** في كتابه الدفاع عن الصحابي أبي بكرة ومروياته والاستدلال لمنع ولاية النساء على الرجال وهو كتاب في الرد على الشيخ محمد سليمان الأشقر، حيث إنه قام بالاتصال الهاتفي على الشيخ محمد معاتباً له على هذه الجرأة، والإقدام على شيء لم يسبقه إليه أحد طيلة القرون الماضية، ورجاؤه منه بإلحاح أن يرجع عن هذا الذي انفرد به عن العلماء المسلمين سلفاً وخلفاً.. وقد بعث إليه كتاباً يؤكد عليه فيه إلحاحه برجاء الرجوع عن ما صدر منه، وأرفق به أوراق مشتملة على شيء من كلام العلماء في فضل أبي بكرة والثناء عليه، وفي قبول مروياته وعدم رد شيء منها، كل ذلك وهو يقر للشيخ بأنه من أهل العلم والفضل لمعرفته به قبل أربعين سنة حين كان مدرساً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إلا أنه اعتبر الذي حصل منه في أبي بكرة

---

(١) جريدة الوطن (١١/٦/٢٠٠٤م).

ومروياته سقطة شنيعة لا يجوز أن يتابع عليها، ولا أن يغتر بها، ويجب الحذر منها.

وكم تمنيت من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لو اكتفى لإثبات قناعته الشرعية التي آمن بها، في مشروعية الترشح والانتخاب للمرأة لعضوية المجالس النيابية، بما قاله في جريدة الوطن بتاريخ (٢٩/ ٥/ ٢٠٠٤م) بالعبارة التالية: «على أنا نقول جدلاً لو صح هذا الحديث افتراضاً جدلياً لكان حجة فقط في منع أن تتولى المرأة الملك أو رئاسة الدولة، ولا يصلح حجة لمنع أن تتولى المرأة القضاء، أو إمارة قرية، أو مدينة، فليس معنى كون الرجل لا يصلح أن يكون ملكاً أنه لا يصلح أن يكون قاضياً أو أمير مدينة أو قرية أو يكون رئيس دائرة أو وزيراً أو رئيس وزراء أو نائباً في البرلمان». فلو صرف هذا الحديث إلى هذا المعنى، ولم يتطرق لتوثيق أو تضعيف الصحابي الجليل أبي بكرة راوي الحديث، لكفاه ذلك دون الحاجة إلى رد الحديث، شأنه في ذلك شأن العديد من العلماء المعاصرين، الذين ذهبوا هذا المذهب، وكان يسعه ما وسع العلماء السابقين الأولين، والوقوف عند ما تلقته الأمة بالقبول.

وأعتقد أنه لأمر ما انقدح في نفس الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ جعله يتمسك بما توصل إليه اجتهاده ولا يلتفت إلى ما سوى ذلك ـ ولله في خلقه شؤون ـ، وإن التوفيق والزلل من أقدار الله

تعالى سبحانه تجريان على خواص عباده ومن اصطفاهم بالعلم والحكمة، وذلك لحِكم لا يعلمها إلا هو ﷻ، ومن جملتها إظهار النقص والقصور فيهم ـ مهما علت مكانتهم، وسما نجمهم في أعين الناس ـ وإظهار تفرده سبحانه وحده بالكمال والجمال، ونعوت الجلال ﷻ، وأن التوفيق والعصمة لم تضمنا لأحد من البشر، إلا لمن عصمه الله تعالى من الأنبياء، والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكما قيل:

لا يدفع المرءُ ما يأتي به القدرُ وفي الخطوبِ إذا فكّرتَ معتَبَرُ
فليس ينجي من الأقدارِ إن نزلتْ رأيٌ وحزمٌ، ولا خوفٌ ولا حذرُ

كلمة أخيرة

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عميق العلم، طيب السريرة، غير متكلف في أقواله وسلوكه، حقّاً لقد تعلمت منه الكثير.

هذا ما عرفته عن الشيخ المبارك من خلال صحبتي له، ولا نزكي على الله تعالى أحد، فكلٌ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب القبر الشريف محمد بن عبد الله ﷺ، ولا نقول كما حكى الشعبي رحمه الله تعالى عن ديدن بعض الناس مع العلماء: «لو أصبت تسعاً وتسعين مرة، وأخطأت مرة، لعدُّوا عليَّ تلك الواحدة»[1]، ولكن نقول كما قيل:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه

ومن مخالطتي لشيخنا الجليل الشيخ محمد بن سليمان الأشقر رحمه الله تعالى، وجدت فيه رجلاً قد تحقق فيه الكثير من صفات السلف الصالح، وأخلاقهم، فكان بشهادة العديد من العلماء والمشايخ عميق العلم، طيب السريرة، غير متكلف في أقواله وسلوكه، وحقّاً فقد تعلمت منه

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» (١٠١).

الكثير، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

هذا، وأسأل الباري جل وعلا أن يتقبله عنده في دار السعادة الأبدية، في أعلى عليين مع الصالحين الأبرار والطيبين الأخيار، ويغفر للمسلمين الزلل، ويقيل عثراتهم، إنه جواد كريم. والله من وراء القصد.

أبو عبد الله
عيسى بن أحمد العبيدلي

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
❊ **تصدير**	(أ)
❊ **المقدمة**	٥

• المدخل •

العالم الربَّاني الثقة

تعريف العلم	١١
معنى العالم الرَّباني	١٣
صفات لا بد منها للعالم ليحوز على ثقة الناس	١٥
علم واسع عميق	١٦
نفس زكية	٢١
إدراك الواقع ومستجدات الزمان	٢٤
التيسير على الأمة مقصد عظيم	٢٧
الاجتماع والألفة	٣١
تجنب التنطع والتشدق	٣٥

• من المولد إلى الوفاة •

تمهيد	٤١
١ ـ فلسطين (١٩٣٠ ـ ١٩٥١م)	٤٢
٢ ـ السعودية (١٩٥١ ـ ١٩٦٥م)	٤٤
٣ ـ الكويت (١٩٦٥ ـ ١٩٩٠م)	٤٥

الموضوع	الصفحة

٤ ـ الأردن (١٩٩٠ ـ ٢٠٠٩م) ٤٦
وفاته ٤٨
مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة ٤٩
كتب حققها الشيخ ٥٢
مؤلفاته المخطوطة ٥٥

• منهجه •

منهجه العلمي ٥٧
منهجه في مسائل الاعتقاد ٦٠
منهجه في الفتوى ٦٢
رعايته لطلبة العلم الشرعي ٦٩
علاقته بالعلماء ٧٥
إفتاؤه بمشروعية الترشح والانتخاب للمرأة لعضوية المجالس النيابية ٧٥
كلمة أخيرة ٨٥
* **المحتوى** ٨٧

المؤلف

- **عيسى أحمد العبيدلي**

ـ خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ـ الوكيل المساعد لقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية

البريد الإلكتروني:

Elebedly@hotmail.com